

(١)

ذكر الله وحقيقته وأثره في ترقية النفس

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ}، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولَهُ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ، وبعد:

فإن ذكر الله (عز وجل) عبادة جليلة، بها تطمئن القلوب، وتنشرح الصدور، حيث يقول سبحانه: {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ*} الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ}، كما أن العبد ينال بذكر الله تعالى معية الله وتأيبده وتكريمه، حيث يقول تعالى في الحديث القدسي: (أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ).

والمتمأمل في القرآن الكريم يجده يدعوننا إلى الإكثار من ذكر الله (عز وجل) على كل حال، حيث يقول الحق سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا* وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا}، ويقول تعالى: {وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}، ويقول سبحانه وتعالى: {الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} ويقول سبحانه مخاطبًا نبينا (صلى الله عليه وسلم): {وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ}.

وذكر الله (عز وجل) حياة حقيقية للإنسان، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ)، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذِي يُذَكَّرُ اللَّهُ فِيهِ، وَالْبَيْتِ الَّذِي لَا يُذَكَّرُ اللَّهُ فِيهِ مَثَلُ

(٢)

الحيِّ والميِّتِ)، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ، وَحِينَ يُمَسِّي: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، مِائَةَ مَرَّةٍ، لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ، أَوْ زَادَ عَلَيْهِ).

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

لا شك أن ذكر الله تعالى عبادة ميسورة الفعل، غير أنها مع ذلك عظيمة القدر، فضائلها أكثر من أن تُعدَّ أو تُحصَى، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (أَلَا أَنْبَأُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعُهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِتْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرَقِ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ، فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟)، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: (ذِكْرُ اللَّهِ)، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ) - أي: المتميزون بالدرجات العالية-، قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: (الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ)، وعندما جاء رجل إلى النبي (صلى الله عليه وسلم)، يقول: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ شَرَّ أَيْعِ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَنْبِئْنِي بِمَهْلِهَا بِأَمْرٍ أَنْتَبَّتُ بِهِ، قَالَ (صلى الله عليه وسلم): (لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا بِذِكْرِ اللَّهِ).

على أننا نؤكد أن الإنسان إذا حَفَّقَ ذكر الله تعالى في قلبه، وردَّده بلسانه، وطَبَّقْتَهُ جوارحه؛ استقامت له نفسه، وقويت مراقبته لربه (عز وجل) في السر والعلانية؛ مما يسهم في إتقان العمل، وترسيخ مكارم الأخلاق، والوقاية من سيئ الأخلاق، والإسهام بقوة في إصلاح المجتمع ورفيئه.

(٣)

كما نؤكد أن الذكر الحقيقي لا يكون باللسان وحده دون استحضر القلب لعظمة الخالق، فالذاكر الحقيقي يدرك أن الله معه يراه ويراقبه، فيجعل جميع حركاته وسكناته، وكل خطوة يخطوها خالصة لوجهه سبحانه، مستحضراً لعظمته، يرجو رحمته ويخشى عقابه؛ وبهذا تطمئن القلوب، وتُمحي السيئات، وتُرفع الدرجات .

اللهم أعلنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك